مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 1112-7163
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

تفسير بعض القيم الاجتماعيـــة للمجتمع الجزائـــري بالتغيـــر الاجتماعـــي

قرليفـــة حميـــد
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم العلوم الإجتماعية شعبة علم الاجتماع جامعة غرداية
monciegaloul@yahoo.fr

ملخص –

ان موضوع القيم الاجتماعية من المواضيع التي اهتم بها العلماء بمختلف تخصصاتهم و توجهاتهم، و خاصة علماء علم الاجتماع فقد تناولوا موضوع القيم حتى أصبح هذا الموضوع مدخل من مداخل علم الاجتماع أو بالأحرى تخصص من تخصصات علم الاجتماع.

ان الدارس لموضوع القيم الاجتماعية يصطدم دائما بموضوع اخر و هو التغير الثقافي، و لفهم هذا الموضوع يجب ان يدرس أكثر التغير الاجتماعي في المجتمع، حتى يستطيع أن يصل في الأخير الى تفسير الية تغير المنظومة القيمية في المجتمع.

ان هذا المقال يبحث في التحولات التي طرأت على القيم داخل المجتمع الجزائري، و محاولة معرفة الظروف الاجتماعية والثقافية التي لها صلة بتحول أو تغير القيم الاجتماعية داخل المجتمع، كما نريد الكشف عن أبعاد التغير الاجتماعي زمنيا ومكانيا ومدى أثرها على القيم الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري، و منه البحث عن التغير المتفاوت وأثره على القيم الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري من حيث زيادتها في الانتشار وتنوعها في جميع ميادين الحياة، و أخيرا المؤثرات التي أحدثت التغير وأثر هذه العوامل كذلك على القيم الاجتماعية، ومدى دلالتها في المجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية -

القيم الاجتماعية- التغير الثقافي- التغير الاجتماعي- الظروف الاجتماعية والثقافية- أبعاد التغير الاجتماعي- ميادين الحياة الاجتماعية- البناء الثقافي للمجتمع- الفرد الجزائري.

Explant some of the social values of Algerian society and social change

Summary -

The theme of social values of the subjects I'm interested in the scientists of various specialization and their attitudes, Especially sociologists have dealt with the subjects of the social values even became the subject of the entrance to the entrance of sociology and rather specialized disciplines of sociology.

The student to the subject of social values collide with a permanent subject matter is another cultural, and to understand this topic should be taught more social change in society so that he can arrive in the fourth to interpret the changing value system in society mechanism.

This article looks at the changes that have occurred in values within Algerian society, and trying it figure out the social and cultural conditions that are relevant to the transformation or changing social values within the society, and we want to detect the dimensions of social change chronologically and spatially and the extent of its impact on social values within Algerian society, find him and uneven change and it impact on social values within Algerian community in the terms of increase in the prevalence and diversity in all areas of life, And finally brought influence as well as change and the impact of these factor on the social values and the extent of its significance in Algerian society.

Key Words–

Social Values- Cultural Change- Social Change- Social and Cultural Conditions- the Dimensions of Social Change- Fields of Social Life- Cultural Construction of Society- Algerian individual.

مقدمـــة -

القيم من المفاهيم الفلسفية التي كثر الجدل حولها بين المدارس والمذاهب الفكرية المختلفة ويقصد بها مجموعة الممارسات السلوكية التي تأخذ موقعها في الثقافة حينما يؤمن بها عدد كبير من أفراد المجتمع بحيث تصبح جزءا أساسيا من تلك الثقافة؛ وقد تكون القيم عامة بالمجتمع وقد تكون خاصة بفرد معين.

على أن تحديد ما يعد قيمة في مجتمع ما، وفي هذا الاطار يؤكد **جون ديوي** على أن الآراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من ناحية بأن ما يسمى " قيما " ليس في الواقع سوى إشارات انفعالية أو تعبيرات صوتية، ومن هنا فإن تعريف القيم يخضع لاشتراطات المجتمع والبيئة

والزمان فقد تتحول القيمة إلى مجرد انفعال، وقد ترتفع العادة إلى درجة القيمة بحسب تغيرات المجتمع وحركة الزمن بين الأجيال .

وتكمن أهمية القيم في ارتباطها عند البشر بمعنى الحياة ذاتها؛ فالقيمة ترتبط بدوافع السلوك المبنية على هدف معين يسعى المرء إلى تحقيقه، ولو افترضنا أن موضوعا معينا فقد قيمته عند الشخص فإن حماسه سوف يضعف وتفتر معه الهمة ويكف عن السعي إلى ذلك الموضوع؛ وربما يتجه إلى ما سواه من الأمور التي لها قيمة عنده، والحقيقة أن انتقاء الفرد قيمة معينة إنما هو محكوم بقيم المجتمع الذي يعيش فيه سواء تابعهم أو عارضهم، لأن المرء في بحثه عن القيمة يتأثر بما لديه من قيم مكتسبة مع التنشئة الثقافية، فلا يستطيع الخروج - في الغالب - عما في عقيدته مما يكون وما لا ينبغي أن يكون.

تحديد مفهوم القيم الاجتماعية(values social):

يحتل مفهوم القيم في علم الاجتماع، أهمية محورية، شأنه في ذلك، شأن مفاهيم الثقافة والنظم والقيم في جوهرها أحد الأركان الأساسية لثقافة المجتمع فلا يمكن أن يكون هناك مجتمع دون أن تكون هناك مجموعة منظمة من القيم الإجتماعية الموجهة لسلوك أعضائه والتي تحقق وحدة الفكر داخل المجتمع.

وقد حاول العديد من علماء الإجتماع والإنسان (الأنثروبولوجيا) تعريف القيم الاجتماعية ورغم اختلاف التعريفات، "إلا أنها تؤكد جميعا على أنها أحكام يصدرها الفرد على العالم الإنساني و الإجتماعي، والمادي الذي يحيط به أو هي كل ما هو جدير باهتمام الفرد وعنايته لاعتبارات اقتصادية أو سيكولوجية أو اجتماعية وأخلاقية أو سياسية"**(1)**.

وهناك العديد من التعريفات للقيم يحسن أن نعرض أهمها:

" يعرف قاموس علم الاجتماع **(فيرتشايلد)** القيم الاجتماعية بأنها مواضع **OBJECTIF** تتعلق بها النفس وتشعر بالحاجة إليها أو باستحسانها أو بضرورتها"**(2)**.

- أما **بيري (PERRY)** فيعرف القيم بأنها جوانب الاهتمام داخل المجتمع، فالشيء الذي يكون موضوع الاهتمام لدى الإنسان أو الجماعة، هو الشيء الذي يكون له قيمة لدى الإنسان أو تلك الجماعة.

- ويشير **ثورندايك** إلى أن القيم هي التفضيلات أو الأشياء المفضلة لدى الإنسان أو الجماعة.

"ويؤكد **تشاراسة موريس (CHARAS MORIS)** هذا المعنى حيث يذهب إلى أن القيم هي أعلى السلوك التفضيلي"**(3)**.

ويوسع **فيشر (FICHER)** من مفهوم القيمة حتى أنه يرى أن للقيمة الاجتماعية ثلاث جوانب تلازمها:

- الموضوع نفسه وهو قيمة.
- قدرة الشيء على إشباع حاجات اجتماعية.

- تقدير الناس لهذا الشيء ولقدرته على إشباع حاجات حيوية لهم.

ومن ثمة فان القيمة " بهذا المعنى تعتبر مرادفة لكلمة المصلحة **(INTERET)** على أساس أن المصلحة كما جاء في تعريف قاموس علم الاجتماع هو كل ما يستشير اهتمام الجماعة وما تعتبره مربحا لها، أو مفيدا أو مشبعا لحاجات اجتماعية وما تحس الجماعة بالقلق إذا هي لم تحققه أو تحصل عليه"**(4)**.

التفسير السوسيولوجي لمفهوم القيم الاجتماعية:

انطلاقا من كتاب **بارسونز (PARSONS)** النسق الاجتماعي، فالقيمة هي عنصر في نسق رمزي مشترك، يعتبر معيارا أو مستوى للإختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف.

أما **توماس** و **زنانيكي (TOMAS §ZINANIECKT)** في مؤلفهما الشهير **(الفلاح الهولندي)** " القيمة الاجتماعية تعني أي معنى ينطوي على مضمون واقعي، وتقبله جماعة اجتماعية معينة، كما أن لها معنى محددا حيث تصبح في ضوئه موضوعا معينا أو نشاطا خاصا "**(5)**.

و من هنا نجد أن القيم تستعمل كمرشد لسلوك الفرد من حيث خروجه عنه أو اتفاقه مع أهداف الحياة الأساسية، ويحدد تدرج القيم لدى الفرد أساس تفضيلاته أو ترتيبه لأهمية عدد من المواقف كل منها يمثل قيمة معينة وطالما أن القيم تعبر عن أهداف معينة فإن الأهداف بالتالي هي قيم بما ينبغي انجازه من خلال نسق القيم السائدة.

وعلى هذا الأساس فإن القيم هي مستوى أو معيار للإنتقاء من بين بدائل أو ممكنات اجتماعية أمام الشخص الإجتماعي في الموقف الإجتماعي، فالمستوى أو المعيار يعني وجود مقياس يقيس به الفرد ويضاهي من خلاله بين الأشياء من حيث فاعليتها ودورها في تحقيق مصالحه.

وهذا المقياس الذي يقيمه الشخص يرتبط بوعيه الإجتماعي وإدراكه للصور وما يؤثر فيه من مؤثرات اجتماعية، واقتصادية تحيط بالشخص، وتتحدد كلها في النهاية بالفرد كانسان وبالطبقة الاجتماعية التي ينتهي إليها وبالمجتمع وما يعايشه من ظروف تاريخية واقتصادية واجتماعية.

ونستخلص ان هناك شبه اتفاق على الطبيعة العامة للقيم باعتبارها تمثل الأهداف، أو الغايات التي يسعى أعضاء المجتمع أو الجماعة إلى تحقيقها، فالقيم لا تعبر عما هو كائن، بقدر ما تعبر عما يجب أن يكون، كما تعبر عن المتطلبات أو الأوامر الأخلاقية.

والقيم كعنصر ثقافي لها طابع تاريخي ونسبي، فالقيم تتكون نتيجة التفاعل الاجتماعي وهي ليست أمور مطلقة، **وإنما تتغير مع تغير البناء الثقافي للمجتمع**، وعلى الرغم من وجود مجموعة عامة من القيم المشتركة داخل المجتمع، إلا أنه مع نمو المجتمع وتعقده فتتعدد القيم داخله، وتختلف باختلاف الجماعات والمهن والطبقات الأمر الذي يتيح الفرصة لظهور ما نطلق عليه صراع القيم داخل المجتمع.

فالقيم الاجتماعية اذن هي عبارة عن مجموعة من المعتقدات التي تمثل المقومات الأساسية أو المحور الذي تبنى عليه مجموعة من الاتجاهات توجه الأشخاص نحو غايات، أو وسائل لتحقيقها، أو أنماط سلوكية يختارها وبفضلها هؤلاء الأشخاص لأنهم يؤمنون بصحتها فالقيم تتضمن التفضيلات الإنسانية وقد تتكون القيم من حالات واقعية وإدراكية توجه السلوك كما أنهما قد تكون مكتسبة يتعلمها الفرد من خلال عمليات التطبيع الاجتماعي.

تفسير القيم الاجتماعية بدلالة التغير الاجتماعي:

لقد أشار **نسبت (R.Nesbet)** إلى العلاقة بين العلاقات الاجتماعية التي تكون داخل الوحدة الاجتماعية وبين الأدوار و المعايير كموضوعات للتغير الاجتماعي، كما أن **سمسلر (N.Smesler)** قد أبرز في تصنيفه لمجالات التغير إلى التغيرات في الأنماط الثقافية و منها القيم وكذلك الرموز التعبيرية، أنساق المعاني، و مختلف أنماط السلوك والتفاعل الاجتماعي و القيم الاجتماعية السائدة هنا نتاج ثقافي مقاوم للقيم الدخيلة والمتغيرة، داخل المجتمع أما **فاسوديفيا (P.Vasodeva)** فترى أن التغير الاجتماعي " يشير إلى التحولات الأساسية في الثقافة غير المادية كالقيم..." **(6)**.

و الفكرة التي يجب الإشارة إليها هنا هل يجب معالجة القيم في المجتمع الجزائري من ناحية التغير الثقافي أم من ناحية التغير الاجتماعي؟.

فإذا عالجنا القيم الاجتماعية في المجتمع الجزائري من ناحية التغير الاجتماعي فإننا نشير إلى السلوك الاجتماعي الفعلي، أما إذا تناولنا من ناحية التغير الثقافي فإننا نشير هنا إلى الرموز الهادفة ثقافيا التي يوجدها أفراد المجتمع.

فالفرق بين التغير الاجتماعي والتغير الثقافي يكمن في أن هذا الأخير أوسع وأشمل، أما التغير الاجتماعي فما هو إلا جزء من التغير الثقافي، وهناك من أشار إلى الجمع بين التغير الاجتماعي والتغير الثقافي، واعتبرهما يمتزجان معا في أي تحليل شامل للتغير في مجال معين، و أكدوا أن العلاقة بين التغير الاجتماعي والتغير الثقافي معقدة جدا لذا فالامتزاج بينهما وثيق رغم إمكانية الفصل بينهما لأغراض التحليل، وقد نحى هذا المنحى أيضا في الربط بين التغيرين الثقافي و الاجتماعي كل من **ثيودورسون (G.Theodorson)** و **سمسلر (N.J.Smelser)** حيث يريا أن الفصل بين نوعي التغير يكون على المستوى النظري فقط دون التطبيق ، أما **سوروكين (A.Sorokin)** فقد رفض الفصل بين نمطي التغير وقال أن " رغم التركيز على الجانب الثقافي إلا أن الجانبين الاجتماعي والثقافي لا ينفصلان رغم أنهما مختلفان"**(7)**.

وعلى العكس فلقد رأى علماء آخرون ضرورة الفصل بين التغير الاجتماعي والتغير الثقافي و منهم **دافيز (K.Davis)** والذي انتهج نفس المنظور للسيد **محمد بدوي** فيرى ضرورة التمييز بينهما رغم أنهما يتداخلان، وينظر إلى التغير الاجتماعي كجزء فقط من الفئة الواسعة التي تدعى تغيرا

ثقافيا كما فصل أيضا بين هذين النمطين كل من **تالكوت بارسونس (T.Parsons)** و **كروبر (Krober)** حيث أوضحا "أن التغيرات في المجتمع تتضمن البنى التي تتفاعل من خلالها الكائنات البشرية والصور التي تأخذها هذه التفاعلات ، بينما التغيرات في الثقافة تتضمن السلوك المكتسب والرمزي وذا الدلالة التي تنشأ عن التفاعلات السابقة..."**(8)**.

وهكذا يتضح اختلاف العلماء بصورة جلية في تحديد الموضوع أو التمييز بين التغير الاجتماعي والتغير الثقافي أو الجمع بينهما، وأيا كان التعريف الذي يتبناه العالم أو الباحث بالنسبة للتغير الاجتماعي فمن الضروري مراعاة الأفكار التي تحدد موضوع المقال، و أهم الأفكار هي:

- ما هي التحولات التي طرأت على القيم داخل المجتمع الجزائري؟.
- معرفة الظروف الاجتماعية، والثقافية التي لها صلة بتحول أو تغير القيم الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري.
- أبعاد التغير الاجتماعي زمنيا ومكانيا ومدى أثرها على القيم الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري.
-التغير المتفاوت وأثره على القيم الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري من حيث زيادتها في الانتشار وتنوعها في جميع ميادين الحياة.
- و أخيرا المؤثرات التي أحدثت التغير وأثر هذه العوامل كذلك على القيم الاجتماعية، ومدى دلالتها في المجتمع الجزائري.

ولدراسة هذه الأفكار يجب الإشارة إلى أهم خصائص التغير الاجتماعي، و هنا يلخص **ويلبرت مور (Welbert More)** الملامح الرئيسية للتغير، في المجتمع المعاصر على النحو التالي:

- يحدث التغير في أي مجتمع و أي ثقافة، بوضوح و استمرار.
-لا يمكن عزل التغيرات، من حيث الزمان أو المكان، لأنها تحدث في سلسلة متعاقبة ومتصلة أكثر من حدوثها، على شكل أزمات وقتية.
-التغيرات المعاصرة، يمكن أن تحدث في أي وقت، و يمكن أن تنتشر نتائجها وتؤثر في أي مكان.
- " يؤثر الحدوث العادي للتغير تأثيرا كبيرا وواسعا، على الجوانب الوظيفية لمجتمعات العالم الحديث"**(9)**.
- إن التغير الاجتماعي لا يحدث بمعدل واحد، في المجتمع الواحد، أو في المجتمع الإنساني عامة، إذا تتباين معدلات التغير، من مجتمع لآخر، فالتغير في المجتمعات الأوربية مثلا أسرع من التغير في المجتمعات الإفريقية بما فيها المجتمع الجزائري، كما تتفاوت معدلات التغير في المجتمع الواحد من منطقة إلى منطقة، فالتغير في المدن، أسرع من التغير في الريف.
- عوامل التغير كثيرة و مختلفة، فهناك عوامل داخلية، و عوامل خارجية، لكنها متساندة وتعمل معا في وقت واحد لإحداث التغير.

"التغير ظاهرة حتمية، تعم المجتمع الإنساني سواء كان هذا التغير سريعا أو بطيئا"**(10)**، أما **غي روشي (Guy Rocher)**، فقد حدد خصائص التغير الاجتماعي في النقاط الآتية .

- التغير الاجتماعي ظاهرة جماعية : بمعنى أنه يجب أن تمس مجموعة هامة أو قطاعا لا يستهان به من قطاعات المجتمع ، حيث يجب أن تؤثر في شروط أو أنماط الحياة كذلك في ذهنية عدد كبير من الأفراد ، وليس فقط في ذهنية عدد محدود من الأفراد .

- التغير الاجتماعي يجب أن يكون تغيرا في البنية، بمعنى أنه يجب أن يكون بإمكاننا رؤية التعديل الذي يصيب النظام الاجتماعي كله، أو بعض مكوناته.

فمن الضروري، لكي نتحدث عن تغير اجتماعي، أن نحدد العناصر البنيوية، أو الثقافية للنظام الاجتماعي، التي عرفت تعديلات، و من الضروري كذلك أن نستطيع وصف هذه التعديلات بشكل كاف من التحديد والدقة.

- تغير البنية يفترض أنه بإمكاننا ملاحظته خلال فترة من فترات حياة الإنسان، بعبارة أخرى أنه يجب أن يكون بإمكاننا تحديد مجموعة من التحولات التي تحدث بين فترتين زمنيتين أو أكثر وإمكانية المقارنة بين الفترتين، وعليه لا يمكننا قياس التغير الاجتماعي إلى بالنسبة لنقطة مرجعية خاصة، فمن خلال هذه النقطة الزمنية المرجعية، نستطيع القول أنه حدث تغير في القيم الاجتماعية وما هو الشيء الذي تغير فيها، وبأي درجة حدث ذلك التغير .

- يجب أن يمتاز كل تغير اجتماعي، بالاستمرار والدوام، بمعنى أن التحولات الملاحظة لا يجب أن تكون سطحية وعابرة لأن الحدث العابر ينتهي بانتهاء مسبباته.

- " التغير الاجتماعي يمكن أن يكون مفاجئا أو بسيطا، حسب شروط حدوثه والعوامل المؤثرة فيه"**(11)**.

من خلال خصائص التغير الاجتماعي نلاحظ أن المجتمع الجزائري اليوم كغيره من المجتمعات يواجه الحقيقة الموضوعية، حيث ينظر علماء الاجتماع اليوم إلى التغير الاجتماعي على أنه ظرف أو شرط عادي للمجتمع، يشير إلى التحولات التي تطرأ على البناء الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية معا، والتي يمكن ملاحظتها في سياق الزمان وحصرها اجتماعيا وثقافيا وجغرافيا، حيث تؤثر هذه التحولات، على بنية ووظائف النظام الاجتماعي، ولا يمكن حصر التغير الاجتماعي في مراحل معينة ولا إخضاعه لقانون محدد أو إجباري، فاستمرارية التغير الاجتماعي هي التي تضمن ديمومته.

تفسير آلية تغير منظومة القيم.

يعتمد التفسير في أسسه على البناء الاجتماعي، ويتضمن مجموعة من العمليات التي يقوم بها الفرد الجزائري لربط القيم الجديدة بالقيم السابقة التي في بنيته المعرفية، ويهتم التفسير بتوليد العلاقات ذات المعنى بين القيم الاجتماعية التي اكتسبها أو كونها الفرد الجزائري من قبل، وبالتالي يؤدي التفسير الاجتماعي إلى نقل خبرة الفرد للاستفادة منها في مواقف جديدة، أي ما يكونه الفرد أو الأفراد المجتمع من معارف حول قيم المجتمع الجزائري، ثم يستفيد من تلك المعارف القيمية ويوظفها في حياته اليومية لمواجهة أو تأييد أو نقد المواقف، وذلك من خلال استراتيجيات تساعد أفراد المجتمع على استخدام مهارات التفكير المتوفرة لديهم في حل المشكلات اليومية وأهم الأسس التي يرتكز عليها ه تفسير الية تغير منظومة القيم:

- يبني أفراد المجتمع الأفكار، والمعايير، القيم، عن طريق تكوين علاقات بين المفاهيم الجديدة والمفاهيم السابقة في بنيتهم المعرفية، أي بين ما هو متفق عليه في المجتمع الجزائري، وما هو جديد أو دخيل على أفراد المجتمع الجزائري.

- يتم معالجة تلك القيم، الجديدة من خلال نمو وتطور المفاهيم أثناء تداولها بين أفراد المجتمع الجزائري، وذلك عن طريق قيام الأفراد بتوليد المعاني والعلاقات بين المفاهيم المتفق عليها لتصويب أنماط الخطأ والخروج عن السياق العام للمجتمع الجزائري.

- يستخدم أفراد المجتمع العمليات التفكيرية لكون العلاقات بين ما تعلموه من الأجداد والآباء وتوليد المعنى أو المعاني بين المعرفة الجديدة للقيم والخبرات السابقة التي اكتسبها أفراد المجتمع من خلال ممارساتهم اليومية لتلك القيم.

- وفي الأخير يولد تغير في منظومة القيم كرد فعل على تلك القيم القديمة سواء بالنقد، أو التأييد، أو الرفض.

وبالملاحظة الدقيقة في عملية اتباع القيم الاجتماعية في المجتمع الجزائري، نلاحظ أنها تولد نتيجة عملية من التفكير القائم على المقارنة بين ما هو موجود، وعلى ما يجب أن يكون موجود، وفي هذه المرحلة يندفع أفراد المجتمع الجزائري إلى الإثارة، وبمعنى آخر تلك التناقضات تثير انتباه أفراد المجتمع الجزائري نحو مختلف مظاهر الانحراف على القيم الاجتماعية، ومن ثم يتم التعرف على تفسير المفاهيم وأسباب حدوث تلك الظواهر الاجتماعية كوسيلة لتوليد بنية المعلومات المرتبطة بالخبرات والمعارف السابقة ويساعد ذلك على تصويب استنتاج الفهم عن المفاهيم والظواهر الموجودة في المجتمع الجزائري، أي الدخيلة في المجتمع الجزائري، ويمكن أن نسمي هذه المرحلة بالمرحلة الدافعة إلى تكوين قيم اجتماعية ، فإذا حدث أي خلل في أي بنية، أو مشاهدة أي مظهر غريب غير مألوف، نترقب قيم جديدة.

ومع استعمال القيم عدة مرات يخصص بعض من الوقت في هذه المرحلة لكي يولد لدى الأفراد المجتمع الجزائري المعنى لما تم التوصل إليه من مفاهيم بواسطة عملية التفكير، حيث نترقب هنا إلى مرحلة توليد الفكرة الأم ونقصد بها القيم الاجتماعية، وكل ذلك عن طريق العلاقات بين المفاهيم التي اكتسبها أفراد المجتمع من قبل وعلاقات بين المفاهيم الجديدة وخبرات والممارسات السابقة لها أو حولها، ذلك باستخدام حركات الوجه أو اليدين أو حتى الجسد كله، وذلك لتسهيل توليد هذه العلاقات.

وفي الأخير وباستخدام المهارات اللغوية والاتصالية والتفكيرية التي تم اكتسابها من قبل افراد المجتمع الجزائري.

محاولة فهم الفرد الجزائري للمجتمع و اعادة تكوين ذاته:

قد أثبتت البحوث العلمية بكشوفاتها الهائلة يوما بعد يوم ضآلة ما يعرفه العقل البشري بالنسبة لما لا يعرفه، وأكدت تلك الاكتشافات بشكل غير مباشر محدودية عقل الإنسان، وأنه ليس كما كان يتصور الحداثيون أنه هو "العاقل الوحيد"، بل أكدت على أنه مخلوق صغير رغم كل قدراته الهائلة، بل إنه يعتريه الضعف والنقص كغيره من المخلوقات، إلى درجة قد لا يوثق فيها بحكمه في بعض الأحيان. فاختلت النظرة إلى قدرة العقل الذي هو مصدر المعرفة المطلق لدى التيار الحداثي، أو كما قال بعض الباحثين، قامت الحداثة على العقل لكنها هي التي دمرت العقل، فالاكتشافات العلمية، خصوصا بعد اكتشاف مبدأ اللايقين و الفيزياء الكمية، بينت بطلان الأوهام التي حيكت عن قدرة العقل والعلم وفندت حتميات القرنين التاسع عشر والعشرين**(12)**.

و عندما كانت القيم الاجتماعية هي موضوع الرغبة الإنسانية والتقدير, أي التفضيلات الإنسانية والتصورات عما هو مرغوب فيه على مستوى أكثر عموميه, ولذلك تشمل (القيم) كل الموضوعات والظروف والمبادئ التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة، والقيم في المجتمع مرجع حكم افراده على اعتبار انماط سلوكهم, وهي في حد ذاتها هدف لهم يسعون الى الحقيقة في انفسهم ومن يلوذ بهم ويهمهم امرهم, ثم هي ايضا باعث على العمل في نطاقها, ودافع من دوافع السلوك في انجاحها, اذا قبلها الفرد واعتز بها, بل هي أيضا التي تحدد اهدافه في ميادين كثيرة وتنبئه بأهمية هذه الأهداف لحياته, وتدله على المؤثرات المعوقة أو المساعدة لتحقيق هذه الأهداف.

و من خلال كل هذا اكتشف الفرد الجزائري أن القيم الاجتماعية غير ثابتة وغير مستقرة، و بالتالي تتأثر كثيرا بالظروف والمتغيرات الاجتماعية والثقافية المحيطية، لأن القيمة ظاهرة ديناميكية متطورة, وهي نسبية تختلف من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان, نظرا لتأثرها بالعوامل السياسية والاقتصادية والثقافية والبيئية, بل يعني انها يمكن ان تختلف باختلاف ثقافة

الأقاليم بالمجتمع الواحد, و كذلك باختلاف الطبقات, وباختلاف الوظيفة والمركز الاجتماعي, والمستوى التعليمي.

و من بين أهم القيم المتغيرة في المجتمع الجزائري التي باتت محل نقاش من طرف افراد المجتمع الجزائري نجد:

- **القيم المتعلقة بالأسرة والزواج (موضوع تعدد الزوجات نموذجا):**لقد ثبت ان قيمة تعدد الزوجات تزداد عند البدو بينما تقل قيمة التعدد عند سكان الحضر، كما أن توفر المادة مع الأفراد ذوي الثقافة البدوية يدفعهم لموضوع التعدد، و هناك نقطة مهمة تكمن في تعليم المرأة ومعرفتها ومطالبها بحقوقها يحد من عملية التعدد.

لقد كان الآباء فيما مضى يحرصون على تزويج أولادهم بمجرد دخولهم سن البلوغ وكانوا أيضا يعطون قيمة وأفضلية للزواج من القرابة, ولكن في هذه الفترة ارتفع سن الزواج بالنسبة للجنسين كما أن قيمة القرابة في الزواج انخفضت كثيرا, حيث أصبح اختيار القرين يرتبط بقيم اقتصادية ومادية واجتماعية، كما أن قيمة الزواج من المطلقة في المجتمع الجزائري انخفضت في هذه الفترة فالأسر لا تشجع أبنائها على الزواج من المرأة المطلقة، لأن المجتمع اعتاد في الفترة الأخيرة أن تتزوج المطلقة من رجل قد تزوج من قبل, أو أن له زوجه أخرى, أو كبير في السن, أو غير ذلك.

- **القيم المتعلقة بنظام الجيرة:** هناك تغير في قيمة الجار، من القداسة الى أقل قيمة، فبعد أن كان الجيران يحرصون على التآخي والتآزر في الشدائد قبل المسرات، أصبحوا حتى يتجنبون إلقاء التحية، فجيران الحي كانوا بمثابة أفراد من العائلة تربط بينهم المودة والعشرة والمعاملة الحسنة تجدهم بجانب بعضهم البعض في السراء والضراء، في المناسبات المفرحة كالزفاف والسبوع، كما في المناسبات المحزنة كالوفاة أو المرض.

و قد أصبح الاختلاط بين الجيران عبء على الغالبية لما قد ينتج عنه من مشاكل، لذا يلجأ الكثير من أفراد المجتمع الجزائري الى قطع علاقاتهم بالجيران، بأن الزيارات المتبادلة لا ينتج عنها إلا المشكلات التي هم في غنى عنها معبرين في ذلك "بالباب الذي يأتيك منه الريح سده واستريح".

ان الخلافات البسيطة والمشاجرات موجودة بين بعض الجيران، ولكن هل القطيعة بين الجيران والعزلة هما الحل لتفادي المشكلات وفضح الأسرار ؟ أم أن تغيرات المجتمع هي التي فرضت هذا الانطواء حفاظاً على الخصوصية؟.

- **القيم المتعلقة بالضيف:** قيمة الضيف هي الأخرى لا تختلف كثيرا عن قيمة الجار في المجتمع الجزائري، فقد حدث عملية تحول لقيمة الضيف داخل المجتمع الجزائري، فقد فقد الضيف قيمته الاجتماعية الخاصة به كما كان سابقا، حيث كان في السابق إذا حل ضيف على أحد الأفراد أو العائلات فإن جيران الحي يدعون من قبل مضيف الضيف ويجيبون الدعوة، كما أنهم يقومون بدورهم بدعوة الضيف تباعا، أما الآن فإنه عندما يحل ضيف على

أحد سكان الحي فإنه يدعو جيرانه وأقاربه وأكثرهم لا يلبون الدعوة، والبعض يلبونها تكلفا، كما أن أكثرهم لا يقومون بدعوة الضيف كما كان في السابق، لقد أصاب نظام الضيافة تغير مثله مثل النظام الجيرة الذي كان في المجتمع الجزائري، فلقد تحول الكرم كقيمة اجتماعية يصبو الفرد لفعله لكي يأخذ مكانه في المجتمع كشخص كريم يساهم في سد متطلبات المجتمع الذي يعيش فيه بتقديم الطعام للجائعين والمحتاجين، رغم حاجته هو له، إلى نوع من المباهاة يقوم به الشخص الغني والفقير نظرًا لسهولة القيام بها.

- **القيم الدينية المتعلقة بالأركان الخمسة للدين الإسلامي في المجتمع الجزائري:** إن القيم الدينية تربط المجتمع بثقافة مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فيحصل عندهم التناسق العقلي والإجماع الفكري الذي يؤدي إلى استقرار المجتمع كذلك هذه القيم تقي المجتمع من الأنانية، فالمجتمع إذا وجدت فيه الأنانية وحب الذات فلا نسأل عن سرعة فساده وانحلاله، أما في المجتمع المسلم فإنه يربي الناس على سعة الصدر واحتمال الأذى وحب الخير، و من هنا نجد أن في المجتمع المسلم الفرد له مكانته والمجتمع له مكانته والقيم تضبط هذا وذاك.

- **القيم الإجتماعية لبعض المهن في المجتمع الجزائري:** في السابق ترتبط المكانة الإجتماعية للفرد بقيمه العمل، فالمجتمع في السابق مثلا نجده يرفع من شأن المهن الزراعية ومهنة التجارة بينما ينظر المجتمع للمهن الحرفية نظره دونية ويعدها مهنا مبتذله كحرفة النجارة و الحدادة

أما في الفترة الحالية بدأت الحكومة تشرف مباشره على النسق الاقتصادي حيث ارتفعت قيمه العمل الحكومي والمدني وأصبحت المرتبة في نظام الخدمة المدني، و الرتبة في نظام الخدمة العسكرية تمنح الفرد قيمه ومكانه اجتماعيه عليا اما التعليم الفني والوظائف المهنية (الحرفية) فمازالت لا تجد التقدير الكافي و القيمة الاجتماعية من افراد المجتمع ولكن لم تكن القيمة السلبية و النظرة الدونية للعمل المهني محورا رئيسيا لرفض العمل المهني، بل أصبحت العوامل المادية تتغلب على العوامل الثقافية فزياده الحوافز للمهنين كفيله بتحقيق تغيير في نظره الجزائريين نحو العمل.

و من هنا نستطيع القول أنه حدث تفاوت في اتجاهات القيم الإجتماعية بين الأجيال

حيث طرأ على ثقافه المجتمع الجزائري الكثير من المتغيرات التي أثرت في توازن القيم الإجتماعية بين الأجيال وظهر كثير من صراع القيم بين جيل الإباء والأبناء.

فمصدر القيم الثقافية السائدة في مجتمع ما هو تاريخ الجماعة أو تراثها التاريخي الذي تنقله عن طريق التربية من جيل إلى جيل، فالتنشئة هي وسيلة المحافظة على القيم الأساسية بشكل امتدادي أفقي في الجيل الواحد وبشكل عمودي بتتابع الأجيال.

ولا بد من التوضيح بأن تأثر الناس بما لديهم من قيم في سلوكهم لا يعني أن القيم هي محركات السلوك، أو أنها الأساس في تحديد السلوك وتوجيهه، فالسلوك يمكن أن ينظر إليه على أنه نتاج عوامل مختلفة تحيط بالفرد، منها القدرة على الأداء والظروف الموضوعية والمواقف الطارئة والوسائل المتاحة والدوافع والحوافز المباشرة، إضافة إلى القيم التي يؤمن بها الفرد، وفي بعض الحالات قد تلتقي قيم الفرد مع رغباته فينتفي عنده الصراع بين ما يعتقد في ضرورته وما يحس الرغبة فيه أو النزوع إليه، وهذا يفتح المجال للسؤال عن السبب الحقيقي الكامن وراء الصراع الفكري في المجتمع الواحد ودور القيم في تشكيل ذلك الصراع و المحور الأساسي الذي ينشأ عنه ذلك الصراع إنما يكمن في القيم وما يرتبط بذلك من تحديد مستوى القيم ودرجتها وأولويتها أو أهميتها وأثرها.

و بسبب أهمية القيم عند الأفراد والمجموعات، نجد أن الصراع حولها يمثل صراعا حول وجود ذاته، فعلى سبيل المثال، فإن فقدان موضوع معين قيمته يعني زوال ما يرتبط به من محفزات؛ وفي بعض الحالات ومع بعض الأشخاص تفقد الأشياء كلها قيمتها تحت وطأة ظروف معينة، وبهذا فإن الحياة نفسها تفقد طعمها عند ذلك الشخص وتصبح حياته بلا معنى، ويمر المرء بمرحلة اليأس الشديد حينما تتساوى في نظره الأمور مما يدعوه إلى أن يجد أن شيئا لا يستحق منه العناية والاهتمام وربما أدى به ذلك إلى محاولة التخلص من الحياة ذاتها.

خاتمـــــة -

إن الحالة الفردية يمكن تعميمها لتصبح الصورة أكبر مع المجتمع أو مع مجموعة من فئاته فالأشخاص الذين يتحولون تحولات فكرية لافتة للنظر - كالتحول من فكر إلى فكر- توضح ما طرأ على القيم من تغيرات، فثمة قيمة ضعفت وماتت ثم حلت محلها قيمة أخرى في الغالب تكون مضادة لها.

و من هنا نفهم الطريقة التي بنيت فيها القيمة الأولى ومقارنته بالطريقة التي نشأت فيها القيمة الأخرى (المضادة للأولى) ليكشف آليات بناء القيم الأساسية في المجتمع؛ على اعتبار أن القيمة الأولى المكتسبة من المجتمع تمثل ضمير الجماعة، في حين تمثل القيمة الأخرى ضمير الفرد.

والواقع أن ضمير الجماعة هو مصدر الإلزام في المجتمع لتحديد الواجبات والمحرمات الثقافية. ويعبر هذا الضمير عن مركز الالتقاء بين ضمائر أعضاء الجماعة الذي يتكون منذ الطفولة الأولى نتيجة للالتزام بالأوامر الصادرة للفرد من السلطة الضابطة الخارجية (الوالدين ثم المدرسين والإعلام والقانون) التي تمثل ثقافة المجتمع. و بالتدريج يقوم الطفل بالسلوك المرغوب فيه في المواقف المختلفة دون الحاجة إلى تلقى التوجيه أو الأمر من الخارج في كل مرة. على أن ثقافة الأسرة أو المجموعة قد تنسجم قيمها الأساسية مع ثقافة المجتمع العام أو قد تختلف عنه قليلا. ويتوقف هذا الوضع بالنسبة للأسر المختلفة في المجتمع على

درجة تماسك النظام الاجتماعي وتكامل الثقافة في المجتمع؛ فالأسرة المرتبطة بالمجتمع يكون انسجامها أكثر في حين أن الأسرة الطارئة على المجتمع تقل عندها عناصر الانسجام.

و الجدير بالذكر أن عملية تكوين الضمير التي تبني القيم هي عملية مستمرة وليست مقتصرة على مرحلة الطفولة؛ فهي تتضمن انتقالا من الالتزام بالأوامر الخارجية إلى التوجيه الذاتي وضبط النفس وتتضمن كذلك تحولا من مجرد الرغبة في التوافق مع الجماعة والحصول على رضاها إلى العمل وفق صورة الذات المثالية. والضمير على هذا الأساس هو قدرة عقلية مكتسبة تبرز من خلال معالجة الفرد لما يواجهه من مواقف الصراع بإرجاعها إلى نظام القيم الذي يؤمن به وتنطوي عليه ذاته المثالية.

قائمة المراجع –

1- السيدة إبراهيم جميل، القيم الاجتماعية الثقافية وأثرها على سلوك العاملين في المؤسسات، بحث قدم خلال متلقى حول القيم وتسيير المؤسسات بمعهد الاقتصاد، سطيف 1986. ص ص 26-28..

2- نخبة من الأساتذة، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 198، ص506.

3- نبيل محمد توفيق السمالوطي، البناء النظري لعلم الإجتماع، مدخل لدراسة المفاهيم والقضايا الأساسية، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية 74 ص .180

4- محمد الزلباني، القيم الاجتماعية، مدخل للدراسات الانثروبولوجيا و الاجتماعية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1973، ص ص 8-18.

5- نخبة من الأساتذة، مرجع سابق، ص 507.

6- مصلح صالح، مصلح صالح، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، التغير الاجتماعي و ظاهرة الجريمة، مؤسسة الوراق، عمان ط1، نقلا عن:

7- Promila vasudeva: social change An analysis of attitude and personality; new delin sterling publishers (p) Ltd, 1976, p8, 29, 30.

8- مصلح صالح، مرجع سبق ذكره، ص45.

9- نفس المرجع ، ص55.

10- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص ص، 414 415.

11- محمد سعيد فرح، علم الاجتماع، مصر، منشأة المعارف، 1987، ص ص، 256-258.

11- Guy Rocher: Introduction à la sociologie générale, le changement social, France, ed: HMH, 1968, p20.

13- عمر كوش، أقلمة المفاهيم، المركز الثقافي العربي، تاريخ الفكر الأوربي الحديث، 2002، ص 25.